مخاطر البث الفضائي الوافد على المجتمع الإسلامي

د. فاضل محمد حسين البدراني

كلية الآداب قسم الإعلام

المقدمة

هنالك رأي تتبناه الكثير من الدوائر والمؤسسات الإعلامية المتخصصة يؤكد بأن من يريد إن يمتلك القوة الحقيقية لمواجهة الآخرين واثبات وجوده فلا بد عليه من امتلاك الإعلام الفاعل قبل السلاح إدراكا لأهميته ودوره في الحياة، فالعصر الحالي هو عصر الإعلام، والمجتمعات المتخلفة في وسائل إعلامها فهي بالطبع متخلفة تكنولوجيا وفي حالات كثيرة أن لم تكن متخلفة فإنها غير منظمة فكريا، ويلزمها إدراك ذلك، ونحن اليوم أمام مئات القنوات الفضائية العربية وأكثر من ذلك من نظيراتها الأجنبية التي توجه وتدير مجتمعات العرب والمسلمين لا تخدم في مجملها قضايا الأمة على الوجه المطلوب بل إنها تتجاهلها وبعضها يتعمد الإضرار بالمجتمعات العربية والإسلامية من خلال ما يبث من أفكار وثقافة هابطة شوهت عقول قطاعات عريضة من المجتمع وتحديدا الشباب منهم بسبب ما تنشره من مفاهيم مغلوطة ومعلومات مضللة (حقوق المرأة– حرية الأبناء– تمرد الفتاة على الآداب والتقاليد) ولعل أخطر ما تقوم به تلك القنوات التدرج في إنهاك المعتقدات والأصول لدى المجتمعات العربية والإسلامية حيث تبدأ بطريقة مدروسة تربوياً ونفسيًا بشكل غير مباشر ابتداءً من المهم صعودا إلى الأهم.

وفي الوقت الحالي وهو عصر الشاشة الصغيرة (شاشة الموبايل) بدلا عن عصر (القرية الصغيرة) نواجه مشكلة خطيرة هي استنساخ البرامج السلبية من الغرب ونلحظه موجودا في معظم القنوات العربية وفي برامجها وهذا أحد العيوب التي تمس صميم رسالة التلفزيون لأن مهمة الإعلام هي الأخذ بأيدي الناس نحو سلوك حسن ونشر الايجابيات وتنوير الناس بما يخدمهم أو على الأقل مساعدتهم في كشف سلبيات الأمور، وامام هذه الجدلية لا نريد أن نعمم هذا على جميع القنوات الفضائية العربية، فهنالك فضائيات تمتاز بالفكر والموضوعية في حين أن كثيرا من القنوات العربية تميل إلى الربح والتجارة على حساب الرسالة الإنسانية والحضارية. أن تناول موضوع البث الفضائي وتأثيراته على المجتمع الإسلامي إيجابا أو سلبا إنما يتناول حركة المجتمع بجميع فئاته وطريقة تعاطيه مع هذه الخدمة التكنولوجية بأبعادها الفكرية، ذلك يدفعنا إلى استعراض جانب من بدايات البث الفضائي ومراحل تطوره عالميا والأهداف والغايات الفكرية التي حاولت من وراءها دولا متطورة لأن تغزو مجتمعنا العربي والإسلامي في محاولة تنميط أفكار أبنائه وبخاصة الشباب منهم على وجه التحديد بما يتناسب وأساليب التحلل الاجتماعي عندها ضمن مشروع

عولمة العالم لأذابة وتحلل الثقافات المحلية للمجتمعات العربية والإسلامية وإحلال النموذج الغربي بدلا عنها. لقد كانت عمليات نفي او إلغاء الحدود القومية هي احد مظاهر عملية العولمة، وقد طالت هذه العمليات دوائر الثقافة والإعلام بالقدر الذي أثرت فيه اقتصاديا في بلدان العالم، وشهدت البلدان العربية كثيرا من هذه التغيرات التي تستدعي التحلل والتأمل.

ويبدو أن معظم البلدان العربية قد تخلت عن أيديولوجية القومية العربية على حساب أيديولوجية تعلي من شان الاقتصاد الحر.. لكن ذلك القي بتبعات سلبية على واقع الإعلام والثقافة فأنتج نوعا من الهجين الثقافي السائد في ثقافة وسائل الإعلام العربية المعاصرة.

إن الإطار النظري للبحث الموسوم (مخاطر البث الفضائي الوافد على المجتمع الإسلامي) جاء لمعالجة إشكالية اختيار هذا الموضوع الذي ركز على التدفق الفكري الغربي الذي يستهدف تلويث البيئة الفكرية العربية الإسلامية بطرق إعلامية شتى، وبقدر ما يستعرض خطورة البث الفضائي في جانب فانه يتعرض في جانب أخر لايجابياته الكبيرة في التلاقح الفكري التي ساهمت في خلق الوعي لدى المجتمعات الكونية ومنها العربية والإسلامية وفي إطار هذه الإشكالية أدرك خبراء الإعلام بأهمية وخطورة الإعلام في آن واحد، فاعتبروا الفضائيات أو الإعلام بشكل عام سيف ذو حدين فأن أساء استخدامه افرز ضررا وان حسن استخدامه جلب النفع، وفي جوانب كثيرة تدعو وسائل الإعلام للحفاظ على القيم والأصالة.

ولقد فرضت أهمية البحث والحاجة إليه على الباحث أن يوضح قيمة البحوث الإعلامية والفائدة المرجوة منها في التحقق من مخاطر وسائل الإعلام عندما يساء استخدامها مع التركيز على الأهمية الفاعلة لها في التنوير والتوضيح وإفهام القيم الاجتماعية للناس وبناء وتنمية المجتمعات، حيث ان وسائل الإعلام والعاملين فيها بدول المنطقة العربية وما يحيط بها في كثير من جوانب عملهم يتحولون إلى أدواة استهلاكية تؤدي غرضا معينا دون ان يكون لها وعيا حضاريا لمعنى وخطورة هذه الرسالة الإعلامية من برامج وإخبار ومسلسلات، وفي جوانب أخرى فان العديد من البرامج الإعلامية والمسلسلات الأجنبية التي يتم تصديرها لدولنا تحمل إسفافا كثيرا ومنتجة لأغراض فكرية معينة تستهدف نسف القيم والتقاليد الاجتماعية وقبلها العقائد الدينية لدى المجتمعات العربية والإسلامية، ونلاحظها تشغل وقتا طويلا من برامج المؤسسات الإعلامية لهذه البلدان،

فوجود البحوث الإعلامية يعد فرصة،في التثقيف وكشف الكثير من الغموض والملابسات للعاملين في وسائل الإعلام وكذلك الناس المستهلكين من المشاهدين والمستمعين والقراء وغيرهم.

واقتضت طبيعة البحث الذي اعتمد المنهج الوصفي (النظري) في العرض مستندا على مصادر صحفية حديثة ومتجددة تواكب المعلومة وتطوراتها بعدها الزاد الفكري للإنسان.. إن يقسم البحث إلى ثلاثة مباحث وهي..

المبحث الأول.. البث الفضائي.. الأهداف والأساليب.

المبحث الثاني.. ثورة الإعلام.. اختلاط الرقم بالحرف.

المبحث الثالث.. مرحلة ظهور الإعلام الإسلامي

ثم الخاتمة التي توصل الباحث من خلالها إلى توصيات تتعلق بحاجة المجتمعات العربية والإسلامية إلى إعلام بأبعاد إستراتيجية للتمكن من الدفاع عن مصالحها.

المبحث الأول
البث الفضائي (الأهداف والأساليب)

ان البث المباشر يعني الاستلام المباشر للإشارة من القمر الصناعي إلى جهاز الاستقبال في المنزل أو عبر الكابل المرتبط باستقبال وتوزيع ترددات القمر ونقل الصورة والصوت مباشرة عبر الشاشة الصغيرة. ولم يكن للعرب أو حتى البلدان الإسلامية أي نشاط في البث الفضائي طيلة السنين التي تطورت فيها العديد من الأبحاث وطرق غزو الفضاء من دول عديدة، وكانت أول إشارة ظهرت تلقائية في المحيط العربي على التلفزيون التونسي عام ١٩٨٩ لمدة عشرين ساعة من القناة الثانية للتلفزيون الفرنسي بحكم الموقع الجغرافي وقد تسببت في مخاوف لدى العرب، عندئذٍ بدأت الصيحات تعلو (ويل للعرب من شر قد اقترب). والمثير أن البعض قد اعتبر البث المباشر مرضاً وبائياً كالكوليرا والجدري وغيرهما[١]، ان ثورة الاتصالات التي شملت العالم بأسره انطلقت من دول غربية كخطوة مكملة لخطوات النهوض التكنولوجي الذي دائما كانت مساحة انطلاقته دول غربية وسجل البث الفضائي أول إرسال له شمل المنطقة في التغطية الإخبارية إثناء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١عبر قناة CNNوأحدث ذلك اهتزازا نفسيا كبيرا عند العرب والمسلمون في ظروف كانت جميع دول الجنوب النامية والفقيرة تشكو من تدفق إخباري ومعلوماتي غير متوازن من

دول الشمال المتقدم عبر وكالات الإنباء العالمية والصحف الكبرى المشهورة وتسمى تاريخيا بالاستعمار والهيمنة الإعلامية والثقافية، وعندما كان الحديث في العالم الإسلامي يتناول كيفية اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة هذه الهيمنة تفاجأ الجميع بثورة البث الفضائي التي تتجاوز كل القيود وتقرب المسافات وأصبح خبراء الإعلام إمام تصنيف جديد لمفهوم سابق بان العالم بفضل التطور التكنولوجي تحول إلى قرية صغيرة لكن لحقت بذلك خطوة أخرى بخدمة الانترنت والخلوي وأصبحنا في زمن الألفية الثالثة نردد بان العالم عبارة عن (شاشة صغيرة) بحجم شاشة الموبايل او الخلوي وبالطبع هذا احد أوجه العولمة التي فيها الكثير من المخاطر والسليبات على حياة المجتمعات الإسلامية ثقافيا واجتماعيا لكن أيضا تنتج مزايا ايجابية في النواحي المذكورة لان البعيد سواء كان نافعا أو مضرا أصبح عندك وفي بيتك وهنا يجب حسن الاختيار من عدمه. وللغرب في هذه المرحلة أهداف وإغراض كبيرة يأتي في مقدمتها طمس وتلويث الإرث الحضاري للمجتمع الإسلامي وصهر ثقافات بلدانه المحلية بسفاسف المدنية والانحلال والانحطاط الاجتماعي لمجتمعه، وكان لإعلام العولمة أسلوبا خاصا مع العصر الفضائي والتدفق الحر بإقناع المجتمعات الإسلامية في الدول النامية والفقيرة بتحرر إرادتها من قيودها وتقاليدها الثقافية والسياسية، وذلك عن طريق إبرازه لمحاسن النموذج الغربي باعتباره نموذجاً عصرياً يقوم على حرية الاختيار الشخصي والنزعة الفردية ويمكّن للمتعة البشرية والترفيه والإنفاق في إطار يتجاوب مع حاجة الرأسمالية الخاصة بزيادة الاستهلاك من جهة وتطبيق قيم المجتمع الرأسمالي من جهة أخرى. وفي هذه المرحلة من التطور الغربي حاول أن يستفزنا في العالمين العربي والإسلامي بأننا غير قادرين على امتلاك نظريات التطور والنضوج الفكري وأننا لا نصلح سوى أن نبقى تابعين له وخاضعين لموديلاته كمستهلكين، إذن لابد من أقناع شبابنا بان قيمه الاجتماعية هي الأصلح له. ولكن أمام هذا التحدي المطلوب من المجتمع الإسلامي لابد من التنبه والانطلاق بما يسير عليه الطرف الأخر فان لم نتمكن من المنافسة بالإبداع والتطور ليس لنا عذر من إيجاد سبل الممانعة والتصدي.

المطلب الأول.. البدايات الأولى للبث المباشر

ان محاولة (الكسندر جراهام بل) الشهيرة عبر إشارته التليفونية إلى مساعدة وطسون عام١٨٧٦ عندما قال «وطسون تعال إلي إنني أحتاج إليك» هي أول إشارة اتصال وبمرور الزمن بلغت مداها في عصر التلفزيون الفضائى عبر الأقمار الصناعية اليوم. بينما تشكل عملية اختراع التلفزيون من قبل العالم البريطاني الأسكتلندي (جون لوجي بيرد) nhoJ driB ygoL عندما تمكن من إخراج فكرة التلفزيون من حيز النظريات إلى التجربة الحية فكرة سبق بها غيره من العلماء عندما نجح في شباط ٢٩١٤من نقل صورة باهتة لصليب صغير عن طريق أجهزته التجريبية إلى شاشة صغيرة على مساحة ثلاثة أمتار– وبعدها كرس بيرد حياته من أجل تطوير هذه التجربة ليصل بعدها إلى الإرسال والاستقبال التلفزيوني عندما نجح في أول عرض للتلفزيون في ٧٢ حزيران ٦٢٩١ ثم توالت خطوات التطوير التلفزيونية كما يراها الدكتور ناصر بن سليمان العمر كالآتي:

١٩٢٧بدأ الإرسال التجريبي.

١٩٥١بدأ إرسال التلفزيون الملون.

١٩٦٨بدأ إنتاج مسجلات الفيديو بمعنى إمكانية تسجيل المادة.

١٩٧٥اخترعت شاشة التلفزيون المسطحة.

١٩٧٩بدأ عرض التلفزيون ثلاثي الأبعاد.

١٩٨٩بدأ البث التلفزيوني المباشر.

وجاءت أول خطوة لغزو الفضاء عندما أسهمت جهود عالم روسي من إرسال كرة صغيرة من الألمنيوم في الرابع عشر من تشرين اول ١٩٥٧وسيرها في الفضاء لتدور حول الأرض مطلقة صيحتها المشهورة والمفهومة بكل اللغات **(بيب بيب بيب)**. كان هذا هو **سبوتنيك**، أول تابع فضائي لكوكب الأرض يصنعه الإنسان، أو أول قمر صناعي. وهذه المحاولة فاجأت الولايات المتحدة الأمر الذي دفعها لان تنجح في أول تجربة للاتصال عبر الأقمار الصناعية عبر مشروع سكور (erocS) الذي أطلق في ٨١ كانون أول ٨٥٩١ ليدور حول الأرض بفعالية لمدة ثلاثة عشر يوماً تنتهي بعدها بطارياته. وهكذا تتابع دخول الدول إلى عصر الفضاء كالأتي:

- الاتحاد السوفيتي في ١٤ تشرين أول١٩٥٧
- الولايات المتحدة في كانون أول ٣١٨٥٩١
- فرنسا في ٢٦ تشرين ثاني ١٩٦٥

- اليابان في شباط ١١٠٧٩١
- الصين فيـنيسان ٢٤٠٧٩١
- بريطانيا في ٢٨ ايلول١٩٧١
- الهند في ١٨ تموز ١٩٨٠
- إسرائيل في كانون اول ١٩٨٨٩١

وقد أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أول قمر للمدار المتزامن في عام١٩٦٢ م، وهو القمر (سنكوم) ليفتح الطريق أمام منظمة أقمار الاتصالات العالمية التي نجحت في إطلاق أقمار أنتلسات المتزامنة التي أدت إلى خفض التكاليف للاتصالات عبر المحيط.

المطلب الثاني.. استراتيجة الحرب بالنيابة والإعلام بالنيابة

برز في نهاية القرن العشرين مصطلح ردده الكثير من المحللين السياسيين المعنيين بشؤون العالم الثالث الذي تنتمي له غالبية البلدان العربية والإسلامية أطلق عليه (الحرب بالنيابة) ورافقه مصطلح رديف له يدعى (الإعلام بالنيابة) تمارسه الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، ومن يفهم مغزى المصطلح الأول سيتوصل إلى مفهوم المصطلح الثاني بمعنى يسمن حافظة الوسطاء ويضعف ذاكرة الواقع، فتحولت من تقاليد عريقة في منظومة العمل الإعلامي الأمريكي على مدى عقود من الزمن، إلى نمط جديد، واطار جديد، واطار خاص، يتقدم نحو ساحة الواقع ليحمل وجهة النظر الرسمية الأمريكية، وليعلن أن مرحلة اختبار الموقف الأمريكي الرسمي، وبشكل خاص في المنطقة العربية قد انتهت لتحل محلها مرحلة جديدة تتسم بظهور النيات والمواقف على السطح مباشرة، ودون أي تزويق او موارية، وجاءت مرادفة لتداعيات ثنائية القوة والثروة التي اتسمت بها المرحلة الأمريكية الجديدة، وتحديدا بعد عام ١٩٩٠ ذلك التاريخ الذي شهد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق القوة المناهضة لتمدد الولايات المتحدة استعماريا(*).

لكن هذه الرؤيا تشكل تكملة لخطة منظري السياسة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر، والتي تقود إلى افتراض ان الولايات المتحدة أضحت قادرة على نشر (الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم) لمواجهة تحديات القوى المعادية للسياسة الأمريكية. ومن اجل ان نربط عمليا ما بين مفهومي (الحرب بالنيابة) و(الإعلام بالنيابة) فقد انطلقت في تلك الفترة سياسة– إعلامية من قبل الساسة والكتاب المقربين من البيت الأبيض،

مثل (النظام العالمي الجديد، وصراع الحضارات، والعولمة، والشرق أوسطية، والحرب الكونية المقدسة ضد الإرهاب)، تلك المفاهيم التي شكلت لاحقا الأساس النظري والعملي لعرض قوة أمريكا السياسية والإعلامية الموازية والمعبرة عن القوة الاقتصادية والعسكرية في ارض الواقع. ويجب الانتباه إلى أن أمريكا عندما سوقت لهذه المفاهيم إنما أرادت أن تخاطب الرأي في أهداف منهجيتها باعتبارها حدا للوقوف مع الحرية أو بالضد منها، أو الاتجاه إلى الديمقراطية أو التعبير عن الشمولية والدكتاتورية، تجسيدا حقيقيا لتحذير الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش قبيل غزو العراق بفترة قصيرة (من لم يكن معنا فهو ضدنا). وإثناء طرح هذه الإشكالية كانت الولايات المتحدة تنفذ نحو العالمين العربي والإسلامي بوسائل غير مباشرة(**). واعتمدت كما هو الحال في الإعمال العدائية التي نراها عبر برنامج الانترنت، فقد أطلقت فايروسات مختفية في أقنعة وأردية متنوعة تهدف بشكل مزدوج إلى تخريب منظومة الأفكار والقيم الوطنية المعادية للبرنامج الأمريكي أولا، وأحلال حالة الغموض وعدم التقين والتشرذم في مدركات الوعي والإدراك لدى الأخر(٢). بهدف تغيير المفاهيم واقناعات ومن ثم فرض النمط المطلوب، فهي تشبه إلى حد كبير سلوكا إعلاميا مباشرا يشبه الإعلان التلفزيوني المضغوط في ثوان معدودة بشراء سلعة لا تحتاج إليها، وليس لها مجال بمنزلك.

أن الاستراتيجية الإعلامية التي هي جزء لا يتجزأ من الستراتيجية السياسية للولايات المتحدة التي دائما تخاطب وتخرب وتختزل الحقوق في ساحات دولية نيابة عن الغرب أخذت بمبدأ المخاطرة في الدخول إلى الميدان، وأعلنت عن مرحلة جديدة من العمل الإعلامي خارج حدودها الإقليمية ما دفع المراقبين للشأن الإعلامي بتفسير ذلك على انه شعور بعقم الوسائل السابقة وفشل سياسة الاختباء تحت عباءة الآخرين، وقدرتها في الوقت ذاته على مباشرة خطابها الإعلامي بوسائلها وأدارتها الموسومة بعلامة (made in U.S.A) واتسمت هذه التجربة عمليا بإنشاء (قناة الحرة) الفضائية الناطقة باللغة العربية بعد احتلال العراق في نشوة مزيفة وغير مدروسة بأن النموذج الأمريكي سينطلق ويشع للفضاء العربي والإسلامي من هذا البلد الذي أصبح الولاية الحادية والخمسين للولايات المتحدة(***)، والتي بدأت ببث أربع عشرة ساعة يوميا، ثم تحول البث لأربع وعشرين ساعة يوميا ضمن وهج حملة إعلامية سبقتها ورافقتها تقول «أن أهم أهداف هذه الشبكة تقديم آفاق جديدة للمشاهدين في الشرق الأوسط، ولتخلق درجة اكبر من الفهم الحضاري والاحترام.. في سوق

إعلامية تهيمن عليها الإثارة والتشويق»(****)، فتدخلت الهيئة الأمريكية ولكن بلسان عربي إسلامي منطلقة لتغزو ميدان الإعلام العربي في عقر داره، وأكدت التجربة عجز الإعلام العربي الرسمي عن التواصل وكسب ثقة المواطن العربي، معلنة بداية مرحلة جديدة من النشاط السياسي والإعلامي الأمريكي في منطقتنا يتجاوز الخطاب الرسمي للإدارة نحو خطاب إعلامي يشتبك مباشرة مع الواقع، وبالمقابل يحتفظ بأليات مواجهة (حملة العداء الأمريكي الغربي) وهي باتت ظاهرة منتشرة على شبكات ومواقع الانترنت والتي تشير حقيقة لسمة العداء لأمريكا ومن خلفها الغرب في العالم(*)، ولاستدراك الورطة باتت قضية تجميل صورة هذه الدولة العملاقة امر يشغل بال الحزبين (الجمهوري والديمقراطي) وكذلك الدول الغربية الحليفة لأمريكا والشركات المرتبطة بعلاقات مصالح معها فكان من نتائج هذه المرحلة ان تغيرت الإدارة الأمريكية بشخص أسود ولكن سبق ذلك تغيير لهجة وخطاب الإعلام نحو تغيير قناعات العالم الإسلامي لصالح الأمريكي بل دفعت هذه المخاوف إلى إن يتبنى الرئيس السابق بوش إنشاء معهد لتجميل صورته وصورة بلاده بعد أن انهارت بنظر العرب والمسلمين ودول أخرى(٣).

المطلب الثالث.. حملات الإعلام الصليبي ضد الإسلام

يثار جدل كبير في هذه المرحلة الراهنة بين فريقين من الغرب احدهما يهاجم المسلمين ويصفهم بالمجتمع المستهلك المتخلف ويتنكر لهم أي إبداع تاريخي في حقل العلوم والمعرفة لكن اعترافات فريق من العلماء الغربيين تكشف غباء أصحاب هذه النظريات من أبناء جلدتهم أو عدائهم الأعمى حيال العرب والمسلمين، إذ يقول الدكتور جورج سارتون notraS أحد مشاهير العلماء الأمريكيين في تاريخ العلوم بقوله «لقد كان العرب أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة: الثامن، والحادي عشر، والثاني عشر الميلادي... ولو لم تنقل إلينا كنوز الثقافة العربية الإسلامية لتوقف سير المدنية بضعة قرون... فوجود الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان وأمثالهما كان لازماً وممهداً لظهور جاليليو ونيوتن... ولو لم يظهر ابن الهيثم لاضطر نيوتن أن يبدأ من حيث بدأ ابن الهيثم ولبدأ جاليليو من حيث بدأ جابر... أي أنه لولا جهود العرب لبدأت النهضة الأوروبية (في القرن الرابع عشر) من النقطة التي بدأ منها العرب نهضتهم العلمية في القرن الثامن الميلادي»(٤). واليوم يلعب

الإعلام دورا هاما في رسم صورة العلاقات الدولية بين الأمم وبين الحضارات ولا شك أن الإعلام الذي يسيطر عليه الصهاينة على مستوى عالمي ليس من السهولة أن يتعامل مع الإسلام كحضارة إنسانية عريقة بتوازن، وتاريخيا يتعرض الإسلام لحملات صليبية سوداء لتشويه حضارته والتصاق التهم بالمسلمين مسخرين آلة الإعلام بكل إمكانياتها لهذا الغرض والأمر ليس غريبا علينا ماهية طبيعة العداء الغربي من الحضارات البارزة وبخاصة الإسلامية والكونفوشية لان شعلتهما لن تنطفيء وهما الخطر الحقيقي الذي ستذوب فيه سفاسف المدنية الغربية كما يذكر الدكتور مسعود ضاهر(٥). لذا كانت حرب ما بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أمر مخطط له لمحاولة عزل المسلمين وانكفائهم في محيط غير مؤثر والأكثر من ذلك ان دول غربية مثل بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وغيرها وقع مواطنوها ضحية التخدير الإعلامي المسموم ضد الإسلام واخذوا يمارسون إعمالا عنصرية ضد المسلمين فتسبب ذلك في تحطيم منظومة العلاقات الإنسانية بين المجتمعين (الغربي والإسلامي) وبالنتيجة عودة أعداد كبيرة من الطلبة وأبناء الجاليات الإسلامية لبلدانهم وأثرت هذه السياسة العنصرية على دورهم في المشاركة اليومية مع الجاليات الموجودة هناك كما تؤكد بعض الدراسات لكن اللافت للنظر ان دراسات مسؤولة ودقيقة تشير الى تزايد أعداد الذين يدخلون الإسلام بعد ان شكلت إحداث سبتمبر صدمة كبيرة لهم وأفاقت الكثير من أصحاب الأدمغة المهمة والمبدعة من غفلة الإعلام المضلل والموهوم، وراحوا يدرسون الإسلام كدين وحضارة وفكر وتبين لهم قيمة ذلك فأمن الكثير بدخول الإسلام هداية وبخاصة من صفوة المجتمع الغربي الذي تحسب لهم قيمة فاعلة في البناء الفكري والتنموي والاجتماعي كما يقول الداعية الإسلامي العراقي الدكتور عبد الحميد العبيدي في برنامج عبر فضائية الرافدين العراقية التي تبث من القاهرة ذات التوجهات الإسلامية. ولمعرفة تأثير وخطورة الإعلام على المجتمع الغربي أكد استطلاع أجري بالدنمارك عقب نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، ذكر (٩٧%) من المبحوثين بأن المسلمين لم يشكلوا أي إضافة إلى المجتمع الدنماركي، كما ذكر (٤٧%) أنه لم يكن من أصدقائهم مسلم، ما يؤكد عزلة المسلمين ومشكلات اندماجهم في المجتمعات الغربية، وبالتالي غياب المعلومة والفهم الصحيح للإسلام والمسلمين عند عامة الغربيين، مما يحتم دوراً جديداً ومهماً للمسلمين ووسائل إعلامهم لنشر المعرفة والدعوة الإسلامية. ان مثل هذه الحملات الإعلامية نجحت

في خلق فجوة بين الشعوب الإسلامية والغربية دون بناء صداقات تتسم بالتعاون الإنساني وهو هدف السياسات الغربية من منطلق ديني، أو الخوف من الإسلام القادم وطبعا المخاوف الشعبية للطرفين خاطئة وكان الأجدر بالشعوب أن تتنبه لطبيعة هذا الصراع بأنه رسمي وليس شعبي.

وانسجاما مع ما نذكر من محاولات غربية لتهميش وتسطيح مجتمعاتنا العربية والإسلامية فقد درجت الكثير من الدراسات المتخصصة في علم الإعلام الاجتماعي إلى ان البث الفضائي يصنف بـ(الإعلام العولمي) وأراد أن يستهدف العالم فكريا ويوحد طريقة تفكيره ويجعله أسير الأله التكنولوجية في عالم كوني موحد،وهذا الهدف بالطبع يعد واحدا من اخطر السموم التي تحاول ان تستهدف المجتمع الإسلامي في الصميم. وبرغم اختلاف وجهات نظر خبراء الإعلام ورجال الدين في المجتمعات العربية والإسلامية حيال هذه الجدلية أنما هنالك من يركز على جوانب يجدها أهدافا رئيسية للبث الفضائي الغربي حيال المجتمع الإسلامي تتجسد بالنقاط الآتية:

١. تسطيح العقل المسلم (الخواء الفكري) وإبراز بدائل للمعرفة بديلة للتعليم النظامي والإطلاع المعرفي التقليدي، فظهرت كثافة في المعلومات ولكنها سطحية في معظمها.
٢. تغيير المفاهيم والرؤى بأسم الحرية والحضارة والتقدم.
٣. تغيير السلوك (الثقافي/ اللغوي/ نمط الحياة).
٤. التبعية المطلقة للغرب من خلال الإيمان المطلق بما يفعله الغرب وما يردده من توصيفات للآخرين.
٥. اعتماد الإعلام البديل في تسويق أفكاره من خلال خلق منظومة قنوات محلية لدى المجتمعات الإسلامية.
٦. تفكيك الأسرة المُحافِظَة وضرب أركانها التقليدية لصالح الأسرة البديلة. بمعنى إحلال النموذج الغربي محل النموذج المحلي.
٧. التأثير في مناهج التعليم التقليدية بإيجاد البدائل المؤثرة والجاذبة.

المطلب الرابع.. صناعة السينما الأمريكية "هوليود"

يرصد الباحث (جاك شاهين) وهو أحد المتخصصين الذين درسوا صورة التشويه في الإعلام الأمريكي تشخيصا دقيقا في عدائية هوليود ضد العرب والمسلمين كواجهة إعلامية أمريكية لها حضورها وتأثيرها السحري على غالبية الناس في الغرب عامة وأمريكا خاصة، فيقول أن هوليود مدينة السينما الأمريكية قدمت منذ حرب الخليج الثانية ١٩٩١ ما يزيد على ٠٤ فيلماً، غالت معظم هذه الأفلام في تشويه سمعة العرب كمسلمين، إذ عرضت شريطاً لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم ويمثلون في الوقت ذاته خطراً رهيباً يهدد الآخرين بوصفهم إرهابيين[٦]. وفي سياق ما تفعله هوليود حيال الإسلام والعرب باعتبارهم مادة الإسلام فان احد الباحثين العرب زار ولاية واشنطن الواقعة في أقصى الشمال وعاد متشائما من خطورة ما تفعله صناعة الإعلام المغرض هناك وخاصة ماكنة هوليود السينمائية من دعاية مغرضة ضد الإسلام والعرب من خلال الترويج وصياغة العقول ونقل الأفكار وتهيئة الأذهان ورسم صورة للعالم والعالمين بالشكل الذي يريد أصحابه أن يصوروه. ويقول لعبت هوليود في تصوير العرب بانهم ما يزالون يستخدمون الجمال في تنقلهم؟ وان الجميع يرتدي الدشداشة والعقال كزي للحياة الرسمية والعامة. ويقول احد الصحفيين الأمريكيين المخضرمين (دان راذر) أشهر معلقي شبكة C.B.S للباحث ان هوليود تلعب دورا خطيرا في محاربة المجتمعات ومنها العربي وتستغل الشباب في غسل أدمغتهم ضد الآخرين ولكن في اتجاه آخر فان الكثير من المثقفين والمطلعين الأمريكيين ومنهم الذين زاروا المنطقة العربية والإسلامية كانوا ينتقدون هوليود ويعترفوا بأنهم يشعرون بالعار لما تقدمه هوليود في الكثير من إعمالها الفنية حول العالم فالمثقف الأمريكي يرى بأنها تمارس دورا مسموما ضد عقلية الشاب الأمريكي والتحريض ضد الآخرين وهذا أمر مرفوض طبعا، ومع ذلك فان هوليود لديها أفلاما راقية ورائعة تعالج الكثير من هذه الموضوعات نفسها بشكل بارع ومؤثر ومن أمثلة أعمالها الفنية الايجابية فلم (ترومان شو ل) «جيم كاري إذا يتعرض بالنقد للقوقعة التي يحول الإعلام الأمريكي مواطنه فريسة لها ومع ذلك، وفي مواجهة المدافعين عن هوليود بإنتاجها افلاما منصفة بالاعتراض فلم نرى فلما واحدا لهوليود يركز على ضحايا القصف بأسلحة اليورانيوم التي استخدمها الجيش الأمريكي منذ عام ١٩٩١وما تلاه ضد العراقيين وتسبب في تشوهات خلقية كثيرة للولادات الطفولية وأيضا في تشوهات لأطفال جنود أمريكيين شاركوا بالحروب المتكررة، وهذا

الموضوع أصبح قضية شغلت المؤسسات الإنسانية الدولية، وفي دراسات طبية غربية ضايقتهم في داخل المجتمع الأمريكي، أذ ثبت ان التفاعلات الكيماوية الناجمة عن اليورانيوم وجدت في مني بعض المرضى من الجنود الأمريكيين ولطالما اشتكت مضاجعاتهم من التهابات أثناء الجماع تتبعها أمراض معطبة»[٧]. وهذا المثال يعطينا الدليل اليقين للاهتداء بالراي القائل «من يريد ان يمتلك دفة القرار في أمريكا فعليه بالإعلام»[٨]. ان هوليود جاءت للعراق وكان لها حضورا واضحا بعد أحداث الفلوجة الثانية في يناير ٢٠٠٥، واثناء دخول السكان المدنيين لمدينتهم بعد ان هجروها لأكثر من شهرين فوجئوا بتفجيرات بدون داع هدمت فيها مساجد ومنازل وعمارات عدة وبعضها نسفت على ساكنيها وسط ضحكات واستخفاف بمشاعر الناس من قبل عناصر ترتدي ملابس عسكرية مدرعة تطوقها قوة عسكرية كبيرة لتوفير الحماية لها، وتقوم بتصوير لقطات الانفجارات والانهيارات، وحين استفسر الناس عن هذه الممارسات تبين بأنه كادر هوليود السينمائي بحاجة الى لقطات تجسد دور قوات المارينز في أفلام لها لمهمة ما اطلقوا عليها بتحرير مدينة اختطفت من إرهابيين (المقاومة) في المعركة التي شهدتها المدينة في نوفمبر/ تشرين ثاني ٢٠٠٤، وقد سجل على هوليود التي ينصفها البعض بأنها مارست دورا ايجابيا وفي ذلك الإطار عمدت أهداف الدعاية الصهيونية إلى ضرب وتحطيم وتشويه الدين الإسلامي، وتمثلت أهم عناصر هذه الدعاية ضد الإسلام في :

* تشويه صورة المسلمين في الداخل والخارج.
* بث اليأس والشك بين الجماهير المسلمة.
* العمل على تفتيت وحدة الأمة المسلمة والتأكيد على الروابط الطائفية والعرقية والإقليمية.
* التركيز على عداء الإسلام والمسلمين للديانة اليهودية، علماً بأن الحقيقة هي أن المسلمين يعادون الصهيونية كمذهب سياسي عدواني توسعي وليس اليهودية كدين سماوي.
* التشكيك في المواقف الواضحة للدول الإسلامية من القضايا المختلفة.
* التركيز على تخلف المسلمين والربط بين الإسلام والتخلف [٩].

المبحث الثاني
ثورة الإعلام (اختراط الرقم بالحرف)

لا شك أننا نعيش اليوم وفي ظل العولمة ثورة إعلامية انصهر فيها الرقم مع الحرف في تفاعل مع أجهزة الإعلام والكمبيوتر.. لتشكل ما يطلق عليه بالطرق السريعة للإعلام والتي ليست لها كوابح تحد من اندفاعها.. ولا حواجز تعيق التدفق الإعلامي المنهمر في كل الاتجاهات "**news**"[١٠] ذلك المصطلح الذي أطلقه البعض من خبراء الإعلام الغرب في تعريف الخبر الذي تشكل المعلومة مادته الأساسية لطرحها في فضاءات الإعلام الثابتة والمتحركة. وإذا كان عصر العولمة يعني في جوهره رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية والاقتصادية والإعلامية والثقافية لتمارس أنشطتها بوسائلها الخاصة وتحل محل الدولة في ميادين المال والاقتصاد والإعلام.. وإذا كان التفوق التكنولوجي قد اتاح للغرب إمكانية التحكم في صناعة المعلومات والاتصال والترفيه من خلال الشركات العملاقة والشبكات الدولية.. إلا أن هذا المجال لا يزال يمثل الساحة الرئيسية لشكل وآفاق الصراع في المستقبل[١١].. وهذا يوضح أن ميدان الصراع القادم هو الحلبة الثقافية والإعلامية.. وهي مجالات لن تصمد فيها إلا الأمم والشعوب التي لها ثقافات قوية ويتطلب ذلك توفر إعلام يجعلها متجددة وقادرة على المنافسة، وجذب الاهتمام وامتناع المتلقي والحصول على ثقته[١٢]. ذلك المتلقي الذي لم تعد هناك وسيلة أو إمكانية لفرض أي وجهة نظر عليه أو إجباره على الاختيار أو محاصرته أو خداعه وتضليله إعلامياً. بشكل عام صارت هذه الثورة الإعلامية كما جسدتها طبيعة التسابق في البث الفضائي هي إحدى علامات العولمة وتجلياتها الأشد وضوحاً وأثراً.

المطلب الأول.. الرسالة الإعلامية المستنسخة

في خضم التغيرات والمستجدات التي تدعم مشاهدة التلفاز ومتابعة الإحداث وارتفاع شعبيته بين مختلف الفئات البشرية وتزايد أعداد الفضائيات العربية وظهور نسخ لقنوات عالمية باللغة العربية علاوة على البرامج المستنسخة من تلك القنوات، برزت هنالك برامج بلا أهداف وأخرى تهدف إلى الإفساد ومخاطبة الغرائز والمخاطبة بلغة رخيصة جداً، وغسل الأدمغة تدريجياً بعد زعزعة المبادئ والقيم والأخلاق الحميدة، والسؤال المطروح ان الفضاء من حولنا هل سيملأ الأوقات؟ الإجابة بالتأكيد ستكون ب (نعم) ولكن بماذا سيمثلها؟ ان هذا العصر سمي بعصر الإعلام واحتل التلفزيون فيه مساحة كبيرة في أذهان الناس

واهتماماتهم،والنظرة العامة تميل إلى الربح ولذلك فان البعض من القنوات غلب عليها الجانب السلبي ومنها ما يختلط فيه الجانب السلبي بالايجابي، والقليل منها يركز على الايجابي الجاد ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١. من يركز على الجانب الجاد الايجابي وهو قليل ويفتقر لعنصر الإبداع والجاذبية في طريقة عرضه من قبل الجمهور مثل البرامج الثقافية والتعليمية التي في اغلب الأحيان تطرح بطريقة جافة غير مشوقة.

٢. من يركز على السلبيات وله نصاب كبير ويؤثر على التربية وعلى ثقافة المجتمع وقد يشرخ في هويته إذا لم يحجم وتفرض ضوابط عليه مثل البرامج المترجمة غير الهادفة وبعض البرامج التي تهدف لغزو فكري ثقافي والبرامج التي تخاطب الغرائز الجنسية بطريقة رخيصة وغيرها كثير.

٣. يمزج السلبي بالايجابي وهذا الأخطر لأن بعض شرائح المجتمع غير محصن ويختلط عليه الأمر وقد يظن السلبي ايجابيا على سبيل المثال، البرامج والأفلام المدبلجة والتي أخذت تغزو الشاشة العربية برغم أنها منتجة في دولة إسلامية هي تركيا والملاحظ عليها أنها تعالج قضايا سياسية واستخباراتية ذات شأن دولي وخاصة قضية تهريب الأسلحة للعراق في زمن الاحتلال الأجنبي للعراق بينما تطرح فيها جوانب سلبية تشكل مصدرا كبيرا في أساليب الابتذال وطرق تعاملهم المبتكرة لدى شباب وحتى الكبار من المجتمعات العربية والإسلامية، وبرامج أخرى حين تتناول بالنقد لرجال فكر معينين لا تذكر الايجابيات مثل ما تذكر السلبيات(١٣). وإذا كان الجمهور معرضا لكل هذه القنوات بدون تمييز فهي تترك آثارا تعتمد وتختلف بحسب السن والمستوى التعليمي، وكلما كان الجمهور متلقياً دون ان يكون لديه عملية فرز ماذا يأخذ وماذا يترك لا شك أنها تترك آثارها فيما بعد على سلوكه وعلى ذوقه العام، والقائمون على هذه القنوات يريدون هدفاً ما وليست مجرد قنوات تشتغل لكنها تعمل لهدف أما أن يكون الربح أو لغرض تدميري لأخلاق الناس والأعراف وتفكيك البناء الاجتماعي وإغراء المراهقين والمراهقات على التمرد على الأسر وإغراقهم بتحطيم القواعد الأخلاقية، وهذا الأمر بدأ في الغرب وقلدته بعض القنوات العربية سواء الوافدة أو البرامج الوافدة التي يجري التسويق لها بطرق معينة وراحت تشجع على الانفلات الأخلاقي والتسيب والانحراف.

المطلب الثاني.. أطروحات الإعلام الوافد

أن مصطلح العولمة الذي كان وحتى وقت قريب عنوانا مبهما لدى الكثير من مجتمعنا كانت إحدى أدواته الإعلام ومنها الفضائيات التي تصل للمشاهد في منطقتنا العربية والإسلامية وتجعله يتفرج على صورة واقعية بديكور جميل للنادي أو المقهى أو لقطة جلوس الشاب مع الشابة في الجامعة وكذلك نمطية السوق والملبس العاري كل هذه الخدمة بدون ثمن وتبين الحياة الغربية وما من شك هو سبيل الإعلام الوافد في اختراق المجتمعات الإسلامية على الصعيد الثقافي والقيمي، ودفعت توجهات المرحلة العولمية للإعلام العربي الإسلامي التي يقودها الغرب الى الاستثمار في المجال الإعلامي لهذه البلدان وبناء المؤسسات الإعلامية إلى تناقض المسؤولية الأخلاقية وتعرضها لاختلالات كبيرة في صدقية دورها فهدفها للبناء الخارجي على حساب مباديء وقيم محلية مشرقية[١٤] ان الإعلام الوافد اخذ يتسرب الى عقلية الإنسان المسلم بأسلوب هاديء وسلس وبطرق دبلوماسية منمقة لكسب الصداقة دون التفريط بها وفي أطار ذلك أخذت تستغل بعض المؤسسات الاجتماعية النسائية أيضاً لتمرير مشروعاتها ونسقها القيمي؛ بحيث تجري عملية تضليل للأولويات الاجتماعية؛ فتجد بعض الجمعيات النسائية في العالم العربي والإسلامي تخدم مخططات تخريبية في أوطانها لحساب قوى أخرى أجنبية دون أن تدري؛ بسبب الغفلة والبحث عن (الأصداء الإعلامية) العالمية لنشاطاتها المتحررة في بلاد العالم الثالث. وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة خليجية خبرا يتعلق بنشاط بعض المنظمات النسائية في بلد عربي خليجي، وكان عنوانه يتحدث عن جهود لوضع صيغة قانونية صارمة من أجل تأخير سن الزواج للفتاة المسلمة في هذه الدولة؛ بحيث لا تقل عن ثمانية عشر عاماً، وكذلك تأخير سن الزواج للشباب.علما بأن هذه الدولة تعرف– حسب الإحصائيات– واحدة من أعلى نسب العنوسة بين الفتيات!! ومع ذلك تأتي منظمة نسائية لكي تتجاهل هذه الحقيقة المخيفة والمتعلقة بصميم بنية المجتمع وسلامته النفسية والأخلاقية والدينية لكي تحارب من أجل إصدار قانون لا يمثل أية أولوية اجتماعية أو نفسية في هذا البلد على الإطلاق؛ وإنما هو تقليد أعمى لتصورات وأولويات بلاد أخرى وشعوب أخرى لها نسيج اجتماعي مغاير تماماً لطبيعة مجتمعاتنا، ولها منظومة قانونية وأخلاقية مختلفة عن منظومتنا التشريعية والأخلاقية، في

مثل هذه الحالات يجب على الإعلام ان ينهض بمواجهة هذه الأفكار الدخيلة والدعوة عبر الإعلام والصحافة بطرح مشاريع بعكس الدعوة السابقة هو المطلب الملحّ مع وضع البرامج التربوية والنفسية المعينة عليه والموجهة له؛ أي أننا في حاجة إلى تبسيط الزواج وسبله بالنسبة للفتيات والشباب على السواء، وإلى خفض سن الزواج بالنسبة للاثنين بحيث تجد الفتاة والشاب فور بلوغهما ما يروي فطرتهما التي يشعل شياطين الإنس من حولهما جذوة نيرانها في كل موطئ قدم يطؤونه أو مكان يتلفتون إليه، في الشارع والمذياع والتلفاز والسينما والمسرح والإعلان والموسيقى والأغنيات التي تتبارى الآن في مستوى الخلاعة والتماجن، والبرامج الإباحية المتسترة في ثوب التثقيف الجنسي والاجتماعي، والروايات والقصص التي ينشرها مرضى وشواذ ومهووسون جنسياً[١٥]. في مثل هذه الدوامات تكون الدعوة إلى حرمان الفتاة من حقها الفطري والإنساني في الحياة الزوجية الهانئة جريمة في حقها واعتداءً على حقها الإنساني، ولكن الذي لا يُذكر في الخبر وفي الواقعة أن معظم هذه (التوابل) السابقة التي أشرنا إليها أصبحت (صناعة) ولا بد لها من سوق، وحينما تتشكل مؤسسة الزواج بشكل فطري وطبيعي؛ فأين تكون أسواق بضاعة الجنس بمختلف صورها وأشكالها في الموسيقى والأفلام والبرامج والمجلات والقصص والأغاني والإعلانات وغيرها؟! فضلاً عن الأهداف غير المباشرة والمتمثلة في تدمير إمكانات المقاومة في نسيج المجتمع لأية قيم وافدة عبر الإعلام الوافد، وتحويل (الشهوة) والإشباع المادي إلى أن يكون هو الهدف وهو الغاية وهو الحياة؛ ومن ثم: توسعة سوق التجارة العالمية الجديد[١٦]. فقد وقعت بعض المحطات الفضائية العربية في فخ المحظور اخلاقياً وقيمياً، وذلك من خلال محاولاتها الساعية إلى جذب المشاهدين بأية وسيلة ممكنة، فعمدت الى استنساخ مجموعة من برامج اللهو والاثارة غير المألوفة والتي سبق وان جربتها التلفزيونات الغربية في أطار برامج تسمى برامج التصوير الواقعي أو تلفزيون الواقع. فبعض القنوات العربية بدأت تتسابق على إرضاء الجمهور العربي وخاصة الشباب واجتذابه لهم بأية صورة من خلال بث المواد التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية وخاصة البرامج المحملة بفنون الإثارة الجنسية والغريزية والتي قد لا نجدها حتى في القنوات الأجنبية[١٧]. فاليوم نرى ان العديد من القنوات الفضائية عامرة بكل ما يثير الجنس وبمواد لم يألفها المجتمع العربي من قبل على سبيل المثال، محاولة تنميط المجتمع على صورة الاختلاط المباشر بين الجنسين والتصرفات الجنسية بينهم،

ووضعها في أطار يوصف على انه ممكن قبوله حتى وان تطلب بعض الوقت. ان المواد الإباحية منتشرة في الكثير من المحطات الفضائية بدءاً من المحطات المخصصة فقط لنشر ثقافة الجنس الفاضحة، وانتهاءاً ببعض القنوات العربية التي بدأت بتطعيم موادها بكل ما يخدش الحياء، وخاصة في ما يتعلق بصور الفيديو كليب الخاص بالاغاني التي تعرض صوراً شبه عارية للمطربات ومجاميع الرقص فيها على قنوات روتانا ومجموعة ال mbc، وكذلك البرامج الكثيرة لفضائيات أخرى التي تثير الجنس وتشجعه ومنها برنامج (ستار اكاديمي) على قناة LBC اللبنانية وغيره، مع ابتكار فضائيات الدردشة والشات، فضلا عن عرض الأفلام المثيرة للغرائز الجنسية والتي بدأت وللأسف الشديد بإخراج العديد من الشباب عن جادة الصواب والزحف وراء الملذات والشهوات على حساب الاهتمام بالجوانب العلمية في الجامعة والمدرسة وغير ذلك. لقد توصلت دراسة طبية أجريت على عينة قوامها (٥٠٠) طالبة ممن يشاهدن الفضائيات بشكلٍ منتظم إلى نتائج تشير إلى إصابة هؤلاء الفتيات بأمراض في الجهاز التناسلي والمجرى البولي وحدوث تغيرات كبيرة طرأت على سلوكهن، حيث انحصر تفكيرهن غالبية الوقت بالجنس[١٨]. كما ان مرض الفضائيات هذا أصبح معترفاً به من قبل الجمعيات الوطنية في العالم وتم تسجيله بكتب الطب الحديثة باسم (دش سيندرم)، ويؤدي أيضاً إلى تغيير عادات وسلوك المصابين به، ويعمل على زعزعة الأخلاقيات. أن بعض الفضائيات بقيامها ببث العديد من المواد الإباحية، ما هي الا محاولة منها لنشر المحظور والممنوع رغبة منها بتفتيت الأسس الأخلاقية للمجتمع العربي الإسلامي مستهدفة على الأخص الشباب منه، ويمكن القول أنها قد نجحت بعض الشيء في ذلك، فالاتجاه اليوم للاطلاع على تلك الفضائيات هو في اغلبه نحو كل ما يثير الجنس والتلاعب بالغرائز والتي هي بالتأكيد ستصرف الشباب عن كل عمل ورغبة جادة في التقدم والتطور.

المطلب الثالث.. ايجابيات البث الفضائي

بعد مضي أكثر من ثلث قرن على انطلاقة أول قمر صناعي في الفضاء عام ١٩٥٧ تكون القنوات الفضائية بما حازته من اهتمام متزايد على مستوى العالم قد تبوأت مركز الصدارة من وسائل الإعلام المعاصرة وفي أطار هذه المهمة التي تضطلع بها، علينا الإقرار بأن القنوات الفضائية ما هي إلا وسيلة اتصال لنقل المعلومات وما تحفل به من

صور ومشاهد وكلمات وأرقام متعددة، وأن الحكم عليها مرتبط بطبيعة الاستخدام. وأن مكانتها فيما يتعلق بالإيجابيات إنما هي في إمكاناتها الواسعة في الانتشار والجذب باعتبار أنها اليوم أداة الاتصال الكونية الأولى. ذلك ان التقنية المتقدمة أو العالية، قد مهدت الطريق أمام الإنسان ليسبر غور الفضاء البعيد ويسيطر على الوقت، وليحصل على المعلومات ويتبادلها مع الآخرين أينما كانوا. فالقنوات الفضائية بما وصلت إليه من نقلة نوعية في الأداء المهني والمعلوماتي حازت على وصفها بوسيلة الاتصال الأكثر انتشارا من غيرها، والأوسع مدى، والأكثر جذبا وإغراء لجمعها بين الصوت والصورة، والضوء، واللون والحركة، واستخدامها مما يحقق الظهور لدين الله وهذه أبرز إيجابياتها. فإشارة التلفزيون المبثوثة عبر الأقمار الصناعية تستقبل في منازل المشاهدين دون حاجة إلى وسيط، بسبب ما حققته تقنيات الاتصال من تقدم بلغت به وسيلة الاتصال قمة التطور إذ أمكن أن يقال بحق إن هذا الإنجاز هو ميزة العصر الاتصالية التي أتاحت إمكان الوصول إلى أي مشاهد على مستوى العالم من خلالها، وخاصة أن عددها الآن يفوق الخيال، وأن الإرسال عبرها يجري بلغات عديدة، وعلى مدى أربع وعشرين ساعة، وإلى جميع القارات دون استثناء حيث يتم البث إلى المستقبل في أي مكان من العالم في أجزاء من الثانية سواء كان ذلك عبر الأقمار الصناعية الدولية أو الإقليمية أو المحلية.ولعل نسبة الإقبال على البرامج الدينية المبثوثة عبر القنوات الفضائية تؤكد الحاجة إليها، وفقا لما جاء في دراسة أجراها الدكتور عاطف عدلي العبد وزملاء له على دراسة أنماط مشاهدة تسع عشرة قناة من قبل طلبة وطالبات قسم الإعلام بجامعة الإمارات العربية المتحدة فقد حصلت البرامج الدينية على نسبة ٩٤.٢٪ من النوعية الأولى من برامج تلك القنوات مما يؤكد أهمية استخدام القنوات الفضائية وإيجابياتها بالنسبة للبلاغ، ونشر الخير وتعميمه، وأيضا حصلت البرامج الدينية على نسبة ٨٢.٥ % من مشاهدي القناة الفضائية المصرية، وحصلت البرامج الثقافية في القناة نفسها على نسبة مشاهدة بلغت ٧٧.٥ % وهي نسب تؤكد مدى أهمية استثمار القنوات الفضائية في بث ما ينفع الناس ويمكث في الأرض، وخاصة أننا أمة بلاغ لا يصح في حقنا إغفال فرصة ثمينة كهذه لتحقيق الظهور لديننا، وكفى بذلك إيجابية بالنسبة للمسلمين.

المطلب الرابع.. صيغ التعامل المثلى مع الإعلام الفضائي

تشير الدراسات الإعلامية الحديثة إلى انه ينبغي أن يكون تعامل المجتمع الإسلامي مع ظاهرة الإعلام الفضائي تعاملا واقعيا ومسؤولا يدرك حقيقة واقعه، وكيفية إحسان توظيفه، ويغير الصورة التي عليها واقع استخدامات القنوات الفضائية العربية حيث لم تحسن الصورة العربية، ولا الصورة الإسلامية(١٩)، فليست المسألة مسألة ظهور على الهواء وطالما نحن نشهد منذ فترة تطورا ملموسا في امتلاك العديد من تقنيات الاتصال والإعلام الحديثة في المنطقة العربية بعد إرسال أقمار صناعية مثل (عربسات ونايلسات) لا بد من استثمار ذلك وأن يكون لدينا ما نقوله للآخرين مما هو شديد الصلة بذواتهم ومصلحتهم، وما يفيدهم ويمتعهم، صحة في المضمون، وجاذبية في العرض، ومهارة فنية فائقة في الأداء، لكي نوصل رسالتنا للناس والعالم بأننا امة مبدعة ومتواصلة برسالتها الحضارية وأننا بعكس ما تصوره وسائل الإعلام الصهيونية أو أفلام هوليود السينمائية، ولكن السؤال الذي لا يزال يبحث عن إجابة هو: هل واكب هذا التطور الملموس في امتلاك التقنيات تطورا مماثلا في البنى الفكرية والاجتماعية للعمل الإعلامي؟ لا شك ان عدم الاستفادة المثلى من وسيلة العصر (القنوات الفضائية) قد يترتب عليه انتشار الفساد لعدم مواجهة شرور البث المباشر ذي الطبيعة الماجنة الفاجرة والحد منه، وما يترتب على ذلك من آثار سيئة ليس أقلها بث اليأس في نفوس المسلمين، والشعور بفقدان الذات، ومحو الهوية، والسلبية في التعامل مع القضايا الإسلامية، فضلا عن عدم الانتماء العقدي، وعدم الالتزام، والانحلال، والتفكك الأسري والتسيب وغير ذلك من الآثار السيئة الظاهرة غير الخافية والمعلومة غير المجهولة. ومتى ما أحسنا استثمار طاقة القنوات الفضائية حققنا هيمنة الإسلام على الإعلام، ومكنا لحقائقه وحقائق الواقع في نفوس الناس عن طريق استغلال طاقة وسيلة الإعلام العصرية في حفظ نصوصه، وإشاعة معانيها الحقة بين الناس، والكشف عن التطبيقات السديدة للإصلاح من خلال التركيز على معطيات العصور الزاهية للمسلمين قديما وحديثا وبذلك يصبح الإسلام مرتكز حياة الناس اليومية ومادة حديثهم، ومحاوراتهم ومستند تصرفاتهم، وبذلك نكون قد ضربنا للناس المثل في الصلاح والاستقامة، ومكناهم من التعرف على حقيقة الإسلام. ووفق منطق تطورات العصر من تكنولوجيا إعلامية فاقت كل التصورات لم يعد أمر إنشاء قناة إسلامية فضائية أو مجلة، أو جريدة إسلامية كافيا لمواجهة هذا الزخم الهائل من القنوات الفضائية الموجهة عبر الأقمار الصناعية، والمجلات والجرائد المتنوعة

والتي أصبحت تستقطب غالبية الناشئة والشباب وحتى الكبار وأصبح الكثير منهم لا يستطيع التحول عنها، لما تقدمه من برامج عديدة ومتنوعة تناسب الأذواق والرغبات،ومن هنا يلزم العمل على اقتحام هذه القنوات من الداخل وتقويمها من خلال المواجهة المباشرة ثقافيا وعلميا.

ومن هنا علينا أن ندرك أهمية أن جهود المسلمين في هذا السبيل ينبغي أن تنطلق من سياسة إعلامية مشتركة يتحرك في إطارها كل من اراد ان يتصدى للافكار التي تحاول اختراق عقلية المسلم وخلق الممانعة الحقيقية بواسطة القنوات الفضائية أو غيرها من وسائل الإعلام لأن ذلك أدعى إلى التكامل وأبعد عن التنافر، والمسلمون أولى بهذا المسلك من أولئك الذين يتبعونه في نشر باطلهم والتمكين له، وينبغي أن تكون مرتكزات تلك السياسة متضمنة في المجالات الأساسية للحياة، (الديني والثقافي والسياسي والاقتصادي، والاجتماعي)، بحيث تستوعب الحياة البشرية في أبعادها الدينية والدنيوية. وإذا كان ما مضى هو أهم ما يمكن الوقوف عنده من إيجابيات القنوات الفضائية بالنسبة للمسلمين فلا يعني ذلك أن الأمر بات عند هذا الحد بل الحاجة تدفعنا إلى أن نشخص مميزات وايجابيات أخرى ذات طابع أنساني يشترك في الانتفاع بها غير المسلمين مع المسلمين، فهي ذات أثر في مساعدة الإنسان على توفير أسباب الراحة، وتحقيق المصالح حيث قربت البعيد، وسهلت صورا من الاتصال الثقافي والاجتماعي والسياسي لم تكن متاحة من قبل بما هيأت من إمكانات لخزن المعلومات، ونقلها استفادت من تجارب الآخرين دون مشقة، مما يتوقع معه أن تكون أداة حقيقية لبناء مجتمع أفضل. ذلك أن البث المباشر يتيح فرصا للإعلام الدولي بنشر الأخبار، ويوفر تجارب على الصعيد العالمي ويسهم في محو الأمية، ونشر التعليم، وتثقيف الجماهير، إضافة إلى النقل الحي للأحداث، وتطوير صور التبادل العلمي والثقافي، وهو فرصة للتحاور الحضاري، ويمكن من الاشتراك في متابعة ما يجري على مستوى العالم لحظة وقوعه من مصادر متعددة مما يسهم في تكوين صورة صحيحة عنه بالانفتاح على العالم وزيادة المعلومات عنه مع اكتساب مهارات جديدة قد تساعد على تغيير الاتجاه والسلوك السلبي، والتخلص من العزلة والوحدة. ومن ثم فإنه رغم الصيحات المتعالية للتخلص من التلفزيون (والقنوات الفضائية نمط متقدم منه) لكثرة الشر والفساد فيه كما يتردد من أصوات في عالم اليوم، فإنه لا مناص من الاعتراف بأنه أحد منجزات العصر التي

أكسبت الإنسان سيطرة أكبر على واقعه، وأطلعته على أسرار كونية ما كان يستطيع الاطلاع عليها من دونه حيث بلغت تكنولوجيا الفضاء الذروة في القدرة على عرض ما يجري في العالم حال وقوعه[٢٠]. ومع أننا نسوق الكثير من فضائل تلفزيون العصر الحالي كوسيلة إعلامية تعليمية، وتربوية، وإخبارية، فهو كذلك فرصة لنظام تعليمي متطور وسريع وشامل يساعد في إيجاد جو تنموي فعال، وهذه الأهمية مقدرة ومعتبرة، وغير منكرة. ان مثل هذه الجوانب المشرقة للقنوات الفضائية تدفعنا لآن نستخلص بأنها وسيلة تربوية متى أحسن استخدامها تجذب إليها ملايين البشر بحكم خصائصها الذاتية شديدة الوقع والتأثير، ومن ثم ليس من الحكمة رفضها والإعراض عنها. ولعلنا في هذا السياق نجدها فرصة للإشادة بالجهود التي تبذل حاليا في غالبية البلدان العربية في تأسيس الفضائيات الإسلامية وأخذ العمل يتوسع فيها.

المبحث الثالث
مرحلة ظهور الأعلام الإسلامي

ان تحليل ظاهرة القنوات الدينية، والإعلام الإسلامي يدفع باتجاه استعراض جانب من أسباب نشوئها والرسالة التي تقدمها والوقوف عند آراء بعض النقاد بوصفها (سوبر ماركت كبير). ولنا ان نميز بين حالتين من ذلك، هما حالة الشيخ يوسف القرضاوي بِعَدِّهِ عالم وفقيه في الدين اتخذ من الإعلام أداة لإيصال رسالته لأكبر عدد ممكن من الناس، وحالة الدعاة الجدد، الذين اتخذوا من الإعلام رسالة بحد ذاتها، فاكتسبوا وجودهم من خلال الإعلام، وحولوا الأداة إلى رسالة، وجعلوا الحالة التلفزيونية الجماهيرية هي الحامل لما يقولون... وبالكاد أن يكونوا أشبه بمعدي برامج تلفزيونية، لكنهم على دراية أكبر بمسائل الدين من المعدين الآخرين.ويرصد الباحث الإعلامي المصري حسام تمام تحول القنوات الدينية إلى حالة استثمارية، فباقة قنوات (روتانا) التي تحوي قنوات السينما والموسيقى والفيديو كليبات الفاضحة، تضم قناة دينية اسمها (الرسالة) وباقة قنوات (أي. آر. تي) التي تبدو نسبياً أكثر احتشاماً، تضم أيضاً قنوات المسلسلات والموسيقى والحكايات والرياضية، وتضم قناة دينية اسمها (إقرأ) وقناة (الناس) كانت مشروع قناة فنية، لصاحب قناة (خليجية) التي كانت قناة فيديو كليب، قبل أن تتحول إلى قناة فنية عامة، وتصبح قناة (الناس) قناة

دينية! ويسخر البعض من الشعارات التي ترفعها بعض القنوات الدينية من قبيل (رنة تدخلك الجنة) التي تستخدم لتشجيع الناس، على تحميل رنات الموبايل ذات المضمون الديني، بأجر مادي دنيوي... دفع بعض المطربين المشهورين إلى الاتجاه للغناء الديني ليس تدينا من القنوات ولا المطربين وإنما لمصلحة تجارية وكسب النجومية بسبب ازدياد الطلب على التدين في هذه المسألة التي تبغي هي بحد ذاتها أن يسلط الضوء عليها الإعلام الفضائي! ونعتقد أن هذه القنوات الدينية، معنية بمناقشة واقعها بجرأة وصراحة، إذا كان مالكوها ودعاتها معنيين بتفعيل دورها الحقيقي والتنويري بعيداً عن البهرجة الإعلامية، والسعي وراء هاجس النجومية[٢١]... وأقول (التنويري) لأن صورة الإسلام الحقيقية، أفضل وأكثر انفتاحاً وواقعية بكثير مما نراه على أرض الواقع في كثير من المجتمعات الإسلامية.

المطلب الأول.. القنوات الإسلامية

ومع ما مثبت من ملاحظات ترافق عمل بعض الفضائيات الإسلامية لكن من المنطقي إن نشهد بان هذا الانتشار المتزايد شكل تحولا جديدا في إلية استخدام خطاب الإعلام الإسلامي، وكانت بعض من هذه القنوات مثل "اقرا وشاعر الرسول وأخريات على شاكلة ذلك وقنوات خصصت أساسا لسماع لغة القران الكريم بأصوات معروفة وهي تحاول إن تكتشف المواهب الصوتية الجديدة مثل (قناة العفاسي والمجد ٣ والمجد) وبعض من الفضائيات التي تتشكل برامجها من الإخبارية والثقافية والدينية وتتناول في البرامج الدينية مقابلات مع داعية إسلامي كما هو الحال في قنوات الجزيرة الإخبارية والتي يظهر فيها الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أسبوعيا في برنامج (الشريعة والحياة) ينال إقبال الملايين من المشاهدين وقناة الرافدين العراقية وتسلط الضوء على الجانب الديني في اكثر من برنامج ومنها البرنامج الديني الذي يستضيف الشيخ والمفكر الإسلامي عبد الحميد العبيدي بشكل أسبوعي (مع الناس) وبرنامج (لمسات بيانية) للدكتور فاضل السامرائي على فضائية الشارقة وبرنامج يقدم من فضائية المجد (مع سماحة المفتي) لسماحة مفتي المملكة العربية السعودية عبدالله آل الشيخ وأبو ظبي ودبي وفضائيات مصرية وعربية عدة وكما هو معتاد ان تركز على دعاة مسلمين بارزين في مقدمتهم المفكر الدكتور احمد عبيد الكبيسي والداعية الإسلامي عمرو خالد، وغيرها من عشرات الفضائيات التي بالفعل انتشرت في إرجاء العالم

الإسلامي ولاسيما العربي منه على وجه التحديد سد جانبا من الفراغ وشكل حضورا واضحا، وعد وجودها خطوة ايجابية إلى حد ان بعضها انتهج خطوة متقدمة بتخصص بعض برامجها باللغة الانكليزية وهي أهم رسالة للتعريف بالإسلام وخاصة قنوات ظهرت في السعودية ودول خليجية أخرى ولكن ما يعاب عليها أنها ما تزال تمارس الأسلوب التقليدي في عملها بحيث تتولى مسؤولية تقديم البرامج بهذه القنوات شخصيات لا تملك الخبرة بمفهوم الإعلام، فالكثير لا يدرك ان الإعلام صناعة ولو أدرك لما اقترب منها ولأعطى الفرصة للمختصين ان يمارسوا مهمتهم في افضل أسلوب. هذا لا يعني اننا نلغي الكثير من الأدوار والجوانب المهمة والمشرقة خاصة وان هذه المهام ما تزال في ربيعها الأول من العمر فلم تمض سنوات طويلة عليها لكي تثمر وتنتج، ولاحظنا في ان أفضل ما تقدمه الفضائيات هذه هي الحوارات الدينية مع شخصيات إسلامية كبيرة تشارك في مسؤولية تنوير الناس بما يتعرضون له من ضخ فكري كبير يجعلهم مع الوقت فريسة لها، وهذه واحدة من الجوانب البارزة ولكن لم نر شخصية دينية برزت واستحوذت على الشارع العربي المسلم وساهمت في الحد من سيل التدفق البرامجي للمسلسلات المدبلجة التركية والغربية[٢٢] وهي بالطبع تشكل خطورة على ذهنية الإنسان العربي المسلم وإخراجه من مرحلة الالتزام بثوابت دينه وعاداته وتقاليده إلى مرحلة المشاركة مع العائلة الغربية في التفرج على حركات وغرائز ومشهيات لمفاتن واغراءات جنسية تساهم الى حد ما في تصدريها ومشاركة أبناء مجتمعاتنا في ممارستها في النوادي والجامعات والمدارس والأماكن الأخرى. والملاحظ ان الفضائية التي تقدم المسلسلات التركية المدبلجة تستحوذ على متابعة الشارع العربي لها بشكل كبير[٢٣].

وحين ننتقد ذلك فلا يعني أننا نلغي دور الشخصيات الدينية الكبيرة وهي تظهر على الشاشات الدينية والإخبارية تتبنى الكثير من المعالجات وتعمل على تنوير الناس بما يجهلونه، لكن نحن نسلط الضوء على عدم وجود شخصية سواء دينية او وسطية تتمكن من التأثير على المشاهد اليومي للمسلسل التركي المدبلج مثلا (مهند ونور) ليتحول الانتظار المرتقب لدى العائلات من مشاهدته باتجاه مشاهدة برنامج ديني أو اجتماعي أخر مثلا (في سبيل الجنة) او (في سبيل الإبداع) الخ. اذن نحن بحاجة لمؤسسات ليس شرطا ان تديرها الحكومات الرسمية وبالتالي يكون الموضوع تحت رغبة المسؤول وليس الأخذ بالتوجهات العامة لدى المجتمع. ان المسؤولية تتطلب ان تكون هنالك ثورة اجتماعية وثقافية في العالم

العربي والإسلامي للأخذ بأسباب التطور المذهل لوسائل الإعلام ولاسيما البث الفضائي واقتناص هذه الفرصة لان نواكب الآخرين إبداعاتهم ونجنب مجتمعاتنا شرورهم ونعمل على تغذيتهم بمن نحن ولماذا نحن. ومع تعدد القنوات الفضائية الإسلامية الناطقة باللغة العربية في السنوات الأخيرة لكن تبقى قناة (أقرأ) من ابرز القنوات التي تمارس دورا عالميا في المخاطبة وعرض المواد الإعلامية. ومن وجهة نظر الدكتورة مجد هاشم الهاشمي بأن قناة (اقرأ) تعد من أحدث القنوات العربية وتقع ضمن مجموعة TRA ،قصاخلا قيدوعسلا يتلا اياضقلاب اًضيأبالشؤون الإسلامية وتعبر عن رسالتها الإنسانية نحو العالم. وتهتم يمالمعإ توص نيملسملل نوكي نأ بلإ فدهتو ،نيملسملا قلئسأ حرطتو يمالسإلا ملاعلا مهت هجوتتو .تاراضحلاو تافاقثلا عارصب بمسي ام هيف ديازتي ذخآ ملاع يف يوقلجمهور المشاهدين العرب والمسلمين الناطقين باللغة العربية في داخل المجتمعات العربية أو في خارجها من مختلف الفئات والشرائح، مثل فئة المحافظين الذين لا يجدون في القنوات الأخرى ما يتفق واهتماماتهم، وفئة الصفوة من النخب الثقافية وقادة الرأي، وفئة النساء ممن يبحثن عن الموضوعات الجادة والاستزادة من الثقافة الدينية، وان من ابرز أهدافها:

. ١ترسيخ المنهج الوسطي السمح للإسلام.

. ٢المساهمة في ترسيخ مكانة اللغة العربية ونشرها عالمياً.

. ٣تنمية مشاعر الانتماء والاعتزاز بالهوية الأصلية وتحصينها ضد الاستلاب الثقافي.

أما سياسة البرامج التي تطرح عبر قناة إقرأ الفضائية، فهي:

. ١عالمية التوجه وسطية المنهج.

. ٣الشمول في الأهداف والتنوع في المضمون.

. ٥الموضوعية والمصداقية في المعالجة والخطاب[٤٢].

المطلب الثاني.. بناء منظومة فضائية وفق المعطيات

تؤكد الدراسات الإعلامية على الأسباب الكامنة وراء انتشار ما يسمى (الإعلام الهابط) في العالم العربي ومخاطر انتشار هذه الظاهرة على جيل الشباب وعلى النظام الاجتماعي وأسسه القيمية والأخلاقية و مسؤولية المجتمع في تحصين الأجيال الناشئة وضرورة مواجهة آثار هذا الإعلام سواء على صعيد الأسرة أو المؤسسة التعليمية أو وسائل

الإعلام أو شبكات المجتمع المدني وبشأن مناقشة أهمية الفضائيات إذ أصبح جميع أفراد المجتمع الآن تحت رحمة سلطة الصورة، وهى سلطة ناعمة تقترب من وجدان المشاهدين وتشكل لهم صورا وعالما افتراضيا من الرموز والمخيلات، وقد عزز ذلك ظهور الفضائيات العربية في منتصف عقد التسعينات، إلى أنقسام أفراد المجتمع إلى خمس فئات مختلفة بالنسبة لاستقبالهم للمعلومات من وسائل الاتصال الجماهيرية بشكل عام وهي، أفراد ومجتمعات لا تدري ما يعرض عليها وأخرى تشاهد ما يعرض عليها.. وإفراد ومجتمعات تتعجب مما يعرض عليها. وتلك التى تتأثر بما يعرض عليها وخامسة تصنع ما يعرض عليها. لذلك يجب التسليم بان الفضائيات تعتبر من افتك وسائل الاتصال الجماهيرية تأثيرا على جمهور المستقبلين. وبينت دراسة بالأرقام والإحصائيات وجود ١٣٤ منتدى عربيا لفك شفرات القنوات التلفزيونية و ٣٩ برنامجا لفك شفرات الفضائيات و١٣٢ فضائية تمتلك موقعا الكترونيا على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) ما يعني أن تأثير الفضائيات كبير جدا خاصة مع عددها المتزايد بطريقة عشوائية، حيث أشارت بعض التوقعات الإعلامية بان يصل عدد الفضائيات عام ٢٠١٥ إلى ٥٨٢ قناة، وهذا ما يدفع إلى التساؤل بشأن ما إذا كان المجتمع العربى تحديدا فى حاجة إلى هذا العدد المتزايد من القنوات الفضائية أم لا؟ أن هذه الأرقام الكبيرة لإعداد الفضائيات بالطبع تقود إلى دراسة الجوانب المالية التي تصرف عليها لآجل جلب الإرباح بنهاية الأمر، وتتصدر القنوات الموسيقية والرياضية والترفيهية قائمة الفضائيات ما يدعم فكرة أنها (الفضائيات) تهدف إلى الإلهاء بشكل مباشر في الوقت الذى تظهر فيه القنوات الدينية والثقافية والسياسية على استحياء أمام العدد الكبير لنظيراتها الملهية التي تعتمد في جميع أشكالها على الرسائل النصية من الجمهور الأمر الذي يزيد من دخلها المادي كثيرا.

وتتساءل حياة حويك (باحثة إعلامية وكاتبة من لبنان) عن سبب التفكير بإنشاء الفضائيات العربية بعد عام ١٩٩٠؟ وأجابت بأن هذا التاريخ ارتبط باستقرار النظام العالمي الجديد وارتباطه بالنظام السياسي الجديد بعد حرب العراق عام ١٩٩١، ورأت ان هذا الانطلاق الهائل للفضائيات العربية يربط الظاهرة بمسألتين هما استقرار السوق ودور ذلك في تمهيد الأرضية المناسبة لاقتصاد السوق بما يجعل الإنسان مستهلكا فقط.وثبت في إحصائية دقيقة بان الفترة من عام ٢٠٠٤ وحتى العام ٢٠٠٧ شهدت زيادة في عدد

الفضائيات بنسبة ٢٧٠ بالمائة ناهيك عن الزيادات المتواصلة حتى منتصف عام ٢٠٠٩، وإن ٥٠ بالمائة منها لها مواقع الكترونية، وكل هذه الأرقام المتزايدة أوصلتنا إلى إشكالية التشبع الإعلامي وأدخلت مجتمعاتنا في مرحلة من الفوضى والعشوائية تدفع إلى التساؤل حول ما اذا كانت الفضائيات هى التى تؤثر على الجمهور أم أن الجمهور هو الذي يؤثر عليها؟[٢٥]. ان مناقشة المعادلة القيمية ما بين الأخلاق والفضائيات تقودنا الى ان نعبر عن الأخلاق بالنسق المتكامل وان الفضائيات لا تغير الأجزاء منها وتخلق نوعا من اللامعيارية والاغتراب عن المجتمع، هذا وقد شهدت السنوات العشر الأخيرة تكريس ظاهرة التبرير الذي نجده مطعما في العديد من أنماط الدراما المعروضة،فالسارق يسرق ويتم تبرير سرقته، وأن اكبر مشكلة يعانيها العاملون في الفضائيات تتمثل فى ان بعضا منها يحاول رسم اتجاه الرأي العام خاصة في بعض البرامج التي تحدد نوعية الجمهور مسبقا للنقاش سلبا أو إيجابا حول ظاهرة ما أو موضوع ما، الأمر الذي يحور الحقيقة، وكثيرا من القنوات الفضائية في المجتمعات الإسلامية تستورد البرامج والمضامين الدرامية من الخارج في الأساس وهذا دليل على أنها ما تزال مجتمعات مستهلكة بالدرجة الأولى مع العلم أن هذه المضامين تحتوي على بعض السلوكيات التي ستعكس بشكل سلبي إذا ما استقبلها المشاهد خاصة تلك التي تظهر علاقة الأبناء الصغار بالكبار على أنها مصادمة في المجمل وعلاقة المراهق بالوالدين على أنها صراع وعلاقة الأبناء الكبار بذويهم بعدما كبروا على أنهم عالة يجب التخلص منهم وهي تستدعي ان تتنبه لها وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية، والتعامل على إيجاد أرضية أعلام متنور ومستوعب لأفكار ومخاطر الواقع الحالي ليصار غالى إنتاج برامج إعلامية مضادة لها، بعيدا عن سياسة الحجب التي لم تعد تحقق إغراضها أو اللجوء لأساليب المنع القسرية[٢٦].

المطلب الثالث.. منهجية التعامل مع البث الفضائي

إن وضع آلية عمل أو استراتيجية مناسبة لمنع سلبيات الفضائيات قد لا تكون مجدية، ما لم نكن جادين فعلاً في لجم شهوات أنفسنا والتحكم بالعقل والمنطق بما يرد إلينا منها. ولابد من التسليم بأن البث الفضائي لا يمكن تجاهله أو منعه بعد تجاوزه كل الحدود والمحطات الأرضية بتقنيات تعجز الكثير من الدول على الإتيان بمثلها، وأصبح البث

الفضائي يلتقط بسهولة دون اذن من احد او حواجز. وحتى نتلافى هذه السلبيات والتي بات نشوئها وتغلغلها في بناءاتنا الاجتماعية والقيمية هو رهن بتقبلنا المناسب او غير المناسب لها، لذلك يجب علينا أن نحدد بعض النقاط الجوهرية والتي من الممكن ان تكون مرتكزات أساسية لتجنب مخاطر الفضائيات ومنها:

١. ان للأسرة دور كبير في عملية ضبط إفرادها ومراقبتهم في ما يشاهدونه من برامج الفضائيات، وحثهم على متابعة ما هو مفيد ومثمر ونبذ كل ما هو ضار.
٢. لابد من تشجيع التواصل العاطفي والنفسي بين الأسرة الواحدة، اذ أن الحل لا يمكن أن يكون في البعد عن الفضائيات نهائياً، ولكن لابد ان يكون وفق نظام محدد مع التركيز على أعطاء الطفل القيم الاجتماعية وتعريفه ما هو الصواب وتمييزه عن الخطأ.
٣. ان الغزو الثقافي القادم ربما لا يأتيك من الإعلام الغربي سيما بعد ظهور دعوات التنبه منه لذا اتبع صيغة جديدة بالاعتماد على القنوات العربية في إفساد القيم والأخلاق ولكن بأفكار وافدة،"التغذية الفكرية الغربية" لذا يجب تقويم التوجهات التي تقوم بها هذه القنوات.
٤. تأسيس منظومة إعلام بأدوات وعقليات واعية تتمكن من دحض وكشف الأساليب المسمومة التي تحاول أن تستهدف مجتمعاتنا وتشمل مختلف وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي وان كان الأخير هو الأداة الأهم في التعويل عليها.
٥. مطالبة المؤسسات التربوية كالمدارس والمعاهد والجامعات بلعب دور كبير في تعليم الطالب وتهيئته نفسياً لتقبل المواد المفيدة من هذه الفضائيات، مع اخذ الحذر من سلبياتها التي لا تعد ولا تحصى.
٦. يجب أن يلعب الوعظ الديني دوراً مؤثراً في تنبيه المجتمع لمضار الفضائيات، مع ربط ذلك بالثواب والعقاب في الآخرة.
٧. استلهام التراث العربي الإسلامي باعتباره مصدراً ثرياً لمواجهة تحديات وإفرازات العولمة، وعاملاً مساعداً لتشكيل تجانس ذهني وروحي بين شباب الأمة، وذلك من خلال متابعة القنوات الإسلامية، مع محاولة فتح القنوات الجديدة وضرورة تحميلها بالمواد التي تنهض بالدين الإسلامي ونشرها بين الشباب العربي.

٨. يجب وضع خطة إعلامية عربية لمواجهة ظاهرة طوفان المادة الإعلامية الأجنبية في التلفزيون العربي، ومحاولة منع ظاهرة البرامج الواقعية التي لا ترتبط بقيم المجتمع وثقافته، مع أهمية تحصين الشباب سياسياً واجتماعياً وثقافياً وتربوياً، وتعميق وعيه بمضامين هذا الغزو وسلبياته(٢٧).

وحقيقةً أن كل تلك الستراتيجيات لا يمكن أن تكون ذات نفعٍ ما لم يتبعها وعي ذاتي بخطورة ما هو قادم إلينا، فما نواجهه اليوم ليس كل ما فيه سيء، وليس كل ما فيه جيد، فالأمر يتوقف علينا نحن وكيف نتعامل مع آلية الفضائيات، فبإمكاننا إن نتلقى فوائدها ونطور أنفسنا ونوسع مداركنا ونحقق طفرات عالية في التقدم، ونبذ كل ما هو ضار فيها من خلال تجنب الوقوع في شباكها واخذ الحيطة منها، وبإمكاننا أيضاً وبأنفسنا ان نقع في مهالك هذه الفضائيات التي ترحب بكل من يشاهدها ويطلع عليها، من خلال الأخذ بملذاتها وتبنيها كمنهجٍ للحياة، دون الحذر مما قد تؤديه من نتائج في ذلك المتلقي. أن مواجهتنا يجب ان تبدأ من داخل أنفسنا، ولا ننتظر من ينبهنا لكيفية إعداد العدة لها ولغيرها من الظواهر. فأن أردنا ان نواكب تقدم العالم، فلا ننزوي بعيداً عنه ولا سيما المجال الإعلامي، ولكن ان نحذر الا يجرفنا تيار الغرب، فتكون النتيجة مترجمة إلى تفكك وانحطاط أخلاقي، وعندئذ لا نقوى على النهوض من جديد ونكون قد حكمنا على مجتمعنا بالدمار والهلاك. أن أكثر البلدان العربية والإسلامية التي تقع ضمن دول العالم الثالث لم تتبن انموذجات إعلامية مستقلة بها، بل نجد معظمها يأخذ بالممارسات الإعلامية التي انبثقت من واقع المجتمعات التي واكبت دولها الحضارة، وهذا يعني أنها كانت مقلدة أو ناقلة لتلك الممارسات على عيوبها، أن وقفة أمام هذه الإشكالية تستدعي وضع أسس علمية لنظرية إعلامية بمضامين تتلاءم وقيم مجتمعاتنا لتشارك في توحيد الكلمة والدفاع عن مصالحنا (٢٨).

الخاتمة

في ضوء ما تقدم فان المجتمعات الإسلامية معنية بلعب ادوار أساسية تعتمد على قناعة بان الغرب يحاول إضعاف شانها وصهر ثقافاتها وإماتة روح التحدي والممانعة لدى شبابها مستغلا عنصر الزمن في حياتهم وإمكانية اختراقهم فكريا والتأثير فيهم نفسيا عبر شاشة الفضائية أو الانترنت أو حتى السينما والصحيفة والمجلة لتقديم صورة منمقة ولكنها

فارغة المحتوى الإنساني الايجابي بغية إبعادهم عن مهمة التواصل الحضاري لمجتمعاتهم والتوجه نحو البناء والتنمية، كما أن الدراسة بينت بان ليس المجتمع الإسلامي وحده هو الهدف في الرسالة الإعلامية المسمومة أو المبتذلة فان طبيعة التعامل كشفت بان المجتمع الغربي ربما هو الضحية رقم واحد، وبقدر ما يهمنا يتطلب ضرورة المشاركة من المجتمعات الإسلامية لغايتين الأولى التحصين الفكري وخلق سبل الممانعة والمواجهة والأمر الثاني أن تكون لنا المساهمة الدولية في نشر قيمنا في زمن التسابق المعلوماتي فالإسلام لديه رسالة وقيم ومبادئ لا يحتاج لان ينمق برامجه الفضائية بل إيجاد البنية الفكرية والوعي في طريقة التواصل والمخاطبة.

التوصيات

خرجت الدراسة ببعض التوصيات التي يتطلب من المؤسسات الإعلامية في المجتمعات العربية الإسلامية أن تتخذ لنفسها خططا ودراسات هدفها ركوب موجة التقدم بما يتناسب مع المبادئ الإسلامية، ويحافظ على الموروث الشعبي ومنظومة القيم الأخلاقية الاجتماعية من اجل الحفاظ على الهوية من الذوبان ووهي كما يلي.

١. التركيز على المنظمات التي تجمع المسلمين في فعاليات وتجمعات وأهداف مشتركة عدة ومنها منظمة المؤتمر الإسلامي بتسخير الإمكانات اللازمة للانطلاق بقنوات فضائية تعبر عن وحدة وقيم الإسلام وسماحته.
٢. إيجاد قنوات تديرها عقليات واعية تتفهم عقلية الغرب ولديها تصورات عميقة ودقيقة لواقع المجتمعات الإسلامية لتمارس دورا ناجحا في مخاطبة الجانبين بما يعطي شبه مقارنة للانحطاط الذي يمارسه الإعلام الغربي والعلام العربي الوافد الذي يلعب دور البديل عن توجهات غربية مسموعة.
٣. اتباع الأسس والمعايير العلمية التي يقوم عليها الإعلام الإسلامي والتي تتلخص في الحقائق التي تدعمها الأرقام والإحصاءات، والتجرد من الذاتية والتحلي بالموضوعية في عرض الحقائق ، وكذلك الصدق والأمانة في جمع البيانات من مصادرها الأصلية، ثم التعبير الصادق عن تطلعات الجماهير.

٤. أن تهتم الفضائيات العربية والإسلامية بكل الملامح الإسلامية من تاريخ وأدب وتراث، والاهتمام بالواقع الإبداعي والثقافي الحقيقي، مع الإعلام بالأحداث الجارية.
٥. العمل على إبراز الشخصية العربية والإسلامية من خلال استضافة العلماء والكتاب والأدباء والمفكرين المعتدلين لطرح قضايا منهجية، تعبر عن الإسلام والعروبة بلا تحيز يمنع التلقي أو تعصب يقلب الصورة. (دعاة لا قضاة).
٦. التأكيد على ثوابت الأمة الإسلامية وإبراز هويتها الحضارية في إطار حوار الحضارات لا صراعها بالانفتاح على ابرز الفضائيات التي تمتلك حضورا جماهيريا واسعا .
٧. إنشاء مراكز إنتاج تلفزيونية متخصصة توثق للحياة العربية والإسلامية في الشرق والغرب، وتبرز وتعرف بالإسلام في إطار الدعوة بالحسنى، وتكون معينة للقنوات الفضائية وداعمة لخططها الإنتاجية بشرط الجاذبية والتخصصية والمهنية.

المصادر والهوامش

(١) بدر الدين أحمد إبراهيم: ثورة المعلومات: الواقع وآفاق المستقبل، (الخرطوم، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، السودان، ٢٠٠٥)، ص ٦٥.

(*) قبيل إعلان الانهيار الحقيقي للاتحاد السوفيتي قال وزير الخارجية الروسي جورج شيفرنادزه متوعدا خصم بلاده الأمريكيين سوف لن نسمح لكم بان تواصلوا تقدمكم نحو الأمام عندما نعلن تقسيم بلادنا لعدة دول حيث ستجلسون دون خوف من طرف دولي يخيفكم وعندها سيتوقف تقدمكم.

(**) إذاعة (أوروبا الحرة) كانت من الوسائل الأمريكية المباشرة الموجهة نحو شعوب منظومة الدول الاشتراكية، وأيضا إذاعة (الحرية) في براغ التي كانت تذيع باللغة العربية وموجهة إلى العراق بعد عام ١٩٩١.

(٢) جان زيغلر، سادة العالم الجدد، العولمة، النهابون، المرتزقة– الفجر، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣).

(***) انطلقت قناة الحرة الفضائية الأمريكية في مطلع شباط/ فبراير بتمويل وإشراف مباشر من الكونغرس ويغطي بثها حوالي ٢٢ دولة في المنطقة العربية.. ويدير المكتب الأمريكي للبث الإذاعي (B.B.G) الوكالة الفيدرالية المكلفة بالإشراف على هذه القناة فضلا عن إشرافها على راديو سوا وراديو الحرية وتلفزيون (مارتي) الموجه إلى كوبا.

(****) كان أول بث لفضائية الحرة الأمريكية من نفس موقع القناة الفضائية العراقية قبل الغزو، وأدت الى تذمر شعبي واسع للعراقيين والعرب بعدها اغتصابا حقيقيا لحق عراقي وطني.

(٣) العرب والإعلام الفضائي، سلسة كتب المستقبل العربي (٣٤)، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤) ص٩٠-٩١.

(٤) بدر الدين أحمد إبراهيم،دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) ٢٠٠٨م./منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ابسيسكو)- ١٤٢٩هـ

(٥) مسعود ظاهر، النهضة اليابانية المعاصرة والدروس المستفادة منها عربيا، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٢)، ص ٧٧.

(٦) تقرير البي بي سي مساء الخميس/٠١ ةرهاظ لوح ةعاسلا ثيدح جمانرب ٢٠٠٦/٢٦ .ايبوفومالسإلا

(٧) العراق- الغزو- الاحتلال- المقاومة- شهادات من خارج الوطن العربي، مجموعة مؤلفين (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠٤) ص ١٠٦.

(٨) مجلة الحوار، شهرية، الإعلام في أمريكا، تصدر عن الاتحاد الإسلامي الكردستاني العراقي، (العدد ٧٧، كانون ثاني ٢٠٠٩)، ص ٤١.

(٩) عبد الله صالح، حوار الحضارات، هيئة الأعمال الفكرية، (الخرطوم،السودان، مارس ٢٠٠٢)، ص ٩٧.

(١٠) تاثير القنوات على السلوك الاجتماعي، منتدى البدو في ٢٠٠٧/١١/٠١. للمزيد ينظر الموقع www.albaduo.com.

(١١) ياس خضير البياتي، تفكيك المشهد العراقي مفخخات الطائفية السياسية والإعلامية، (بيروت، مجلة المستقبل العربي، ٢٠٠٨) ص ٤٧.

(١٢) مسعود ضاهر، النهضة اليابانية المعاصرة، مصدر سابق، ص ٤٣١.

(١٣) صباح ياسين، الإعلام النسق القيمي وهيمنة القوة، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦)، ص ٥٠.

(١٤) عبد الستار جواد، صناعة الإخبار (بغداد، دار الكتب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠) ص٦١.

(١٥) محمد حسام الدين إسماعيل، الصورة والجسد.. دراسات نقدية في الإعلام المعاصر (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨) ص ١٣٤.

(١٦) ثاثير الفضائيات على المجتمعات، دراسة نشرت في موقع الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الموقع

www.al-islam.com

(١٧) فاضل البدراني، دور وسائل الإعلام في نشر الإسلام المستنير، مقالة نشرت في جريدة العرب الأردنية، العدد الصادر في ١٠ نيسان ٢٠٠٢.

(١٨) جمال سلطان، الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة، دراسة نشرت في مجلة البيان، السعودية، الموقع : http://www.albayan-magazine.com

(١٩) عماد الدين حسين، أوقفوا ثورة الجنس الفضائية، تقرير من ضمن تقارير الفضائيات وتأثيرها على مجتمعنا، منشور على موقع صيد الفوائد على الانترنيت:

Said.net/bahoth/19-3.htm-122k .

(٢٠) خطر الغزو الثقافي والإعلامي على المجتمع العربي، مقال منشور على موقع www.balagh.com/thaqafa/7t100wbp.htm-21k.

(٢١) محمد منصور، القنوات الدينية في مواجهة أسئلة نقدية: استثمار تجاري أم خطاب عقابي ترهيبي؟ القدس العربي، ١٨- ٣- ٢٠٠٩.

(٢٢) جمال الزرن، تدويل الإعلام العربي الوعاء ووعي الهوية، (دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر ٢٠٠٧) ص ٢١٢.

(٢٣) مجد هاشم الهاشمي: الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل، (الأردن، عمان، دار المستقبل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص.٢٠٧.

(٢٤) مازن مرسول محمد، خطاب الفضائيات والتغير الاجتماعي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢٤، السنة الثالثة، أيلول (سبتمبر) ٢٠٠.

(٢٥) تقرير منشور في شبكة العرب نيوز في ١٤- ٥ - ٢٠٠. للمزيد ينظر الموقع www.arabnews.com

(٢٦) بدران عبد الرزاق، البرامج الأجنبية في التلفزة العربية، مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٧٢، تشرين الثاني/ نوفمبر، ١٩٨٩،ص ٣٧.

(٢٧) عماد الدين حسين، أوقفوا ثورة الجنس الفضائية، مصدر سابق.

Said.net/bahoth/19-3.htm-122k.

(٢٨) هاشم احمد انغيمش، في أهمية الإعلام الإسلامي للمجتمعات الإسلامية، مجلة روافد، المنتدى الأدبي والثقافي بالفلوجة، العدد الثالث/ أيلول ٢٠٠٧، ص ٧٨.